

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الثالثة - العدد التاسع - ربيع ١٣٩٢ش / آذار ٢٠١٣م

صص ٤٨ - ٢٧

## مراتب النفس عند ناصر خسرو

فاطمة حيدري\*

زرين تاج پرهيزگار\*\*

### الملخص

نلاحظ من خلال البحث والدراسة في آثار وديوان فيلسوف القرن الخامس الهجري، الحكيم أبي معين ناصر خسرو قبادياني البلخي، أنه يعتبر الإنسان خلاصة التكوين وموازيا للعالم الكبير. ويعتقد الشاعر أن الإنسان يتكوّن من جزءين وهما النفس والجسم. والنفس هي الجزء الحى الذى لا يموت والجسم هو الجزء الحى الفانى، وللنفس مراتب أعلاها وأرقاها، العاقلة الحافظة لسائر النفوس. ويشير ناصر خسرو إلى مراتب النفس بتعابير مصطلحة بالعربية والفارسية. هذه المقالة تسلط الضوء على مراتب النفس المختلفة عند ناصر خسرو التى نجدها في آثاره المنثورة وديوان أشعاره.

الكلمات الدليلية: ناصر خسرو، النفس النباتية، والحسية، والناطقة، والعاقلة،

والقدسية.

\*. أستاذة مشاركة بجامعة آزاد الإسلامية في كرج، إيران.

\*\* عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية في كرج، إيران.

fateme\_heydari10@yahoo.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. هومن ناظميان

تاريخ القبول: ١٣٩٢/٤/٢ش

تاريخ الوصول: ١٣٩١/٢/٢٥ش

## المقدمة

إن النفس قوة يستمد الجسم وجوده منها وحسب نوعيتها ومرتبته تتعين مرتبة الجسم وشأنه وفي الواقع بواسطة النفس، يتحول الجسم إلى النبات أو الحيوان أو الإنسان. إن آثار الحياة تظهر مع النفس وتنمو وتتغذى بالنفس، ثم يحدد الحس والعلم والتميز والحركة الإرادية، مراتب النفس حيوانية كانت أم إنسانية. وتنقسم النفس باعتبار غلبة الرذائل والفضائل إلى النفس الأمارة واللوامة والمطمئنة. يعتقد العلماء والعرفاء «أن وجود الإنسان لا ينحصر علي الجسم والصورة فحسب، بل هناك جزء آخر للإنسان غير المادة والصورة وهو في مقام التجريد ويدعي النفس.» (نراقى، ١٣٧٨ش: ١٨) و«لا يمكن إدراك المعقولات والتدبر والتصرف في الجسم المحسوس من خلال قواه وأدواته.» (خواجه نصير، ١٣٥٦ش: ٤٨) كما «أن النفس تتلقب بأسماء متنوعة حسب المراتب المختلفة التي تناها وعلي السالك أن يسعي في تربية النفس وتحصيل المعرفة الأخلاقية لأنها أمانة بالسوء.» (باخرزي، ١٣٥٤ش: ١٠٣)

يعتقد شيخ الإشراق أنه «كلما غلبت النفس علي الجسم كلما أصبح الظاهر والباطن خاضعا لها ما يقربه إلى عالمه أكثر فأكثر ويتقرب إلى الكمال وتدعي هذه النفس، النفس المطمئنة والكلمة الطيبة، وكلما غلب الجسم علي النفس أصيبت بالضعف والعجز وتسمى النفس اللوامة.» (سهروردي، ١٣٧٢ش: ٣٧٣)

بناء علي هذه الآية ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة: ١٠) فإن المرض نوعان؛ مرض القلوب ومرض الأبدان. ينشأ مرض القلب بأمر من النفس الأمارة بالسوء ﴿إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف: ٥٣) وفي حال ندم النفس علي القصور فيما يستوجب عليها، تبدأ في ملامة نفسها وتشعر بالحسرة علي أيامها حتى تتولد لديها نظرة الحقارة والمذلة. وإذا ما أخضع العبد النفس الأمارة للرياضة بغرض تهذيب الأخلاق النفسية، تتحول حينئذ إلى النفس المطمئنة يشملها الخطاب الرباني القائل بـ ﴿بِأَيْتِهَا النَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةَ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ (الفجر: ٢٨-٢٧)

بينديش تا چيست مردم كه او را سوى خویش خواند ايزد دادگستر

(ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ١٤٥)

\_\_ فُكِّر ما هي قيمة بني آدم الذي يدعوه الرب العادل إلى نفسه.  
إنَّ النفس تتعلق بمفهومها الأمانة بأدنى مراتب كمال الجسم الإنساني، وبمفهوم النفس الناطقة والمطمئنة تشمل أرقى مراتبها. (زرين كوب، ١٣٦٨ش: ٦١٩) وفي الحقيقة أنشئ الكون لكي يترقى ويسمو نحو ما هو أفضل وذلك لا يأتي إلا وفق الخطوة والالتفات ومن حيث النزول من المرتبة العليا إلى المرتبة الدونية. وأما البقاء والكمال فهما مرهونان بالاستفاضة المستمرة التي تتلقاها المرتبة الدونية من المرتبة السامية. وقد جاء في مصباح الهداية «أن النفس الناطقة هي عبارة عن الجوهر البخارى اللطيف لأجزاء البدن وتسمى الروح الحيوانية أو الطبيعية.» (الكاشي، ١٣٨٨ش: ٨٢)  
إن النفس أشد عداء من الشياطين والدنيا والكفار «ما من مؤمن إلا وله أربعة أعداء.» (نجم رازی، ١٣٨٧ش: ١٧٣) والنفس الأمانة كافرة صعبة الانقياد.  
كافر است اين نفس نافرمان چنين كشتن او كي بود آسان  
(عطار، ١٣٧٤ش: ١١٠)

\_\_ إن هذه النفس المتمردة لا يمكن قتلها بهذه السهولة.  
وللوصول إلى النفس الناطقة ينبغي التخلص من النفس الأمانة .  
نفس را چون جعفر طيار برکن بال و پر گر به بالا پر و بال مرغ جان می بایدت  
(عطار، ١٣٦٨ش: ٤٣)  
يقول عطار: إذا أردت الوصول إلى الروح المتعالية عليك التخلص من النفس (الأمانة) كما فعل جعفر الطيار.  
في الواقع إن تجاهل الماديات وتعلقات الجسم يهيء الوصول إلى مرتبة النفس المطمئنة ويجعل صاحب النفس المطمئنة يستعد لتلبية نداء الحق.  
بی حس و بی گوش و بی فکر ت شوید تا ندای ارجعی را بشنوید  
(مولوی، ١٣٦٥ش: ٣٦)

\_\_ عليكم أن تفقدوا الحس والسمع والفكر حتى تسمعوا صوت ارجعی إلى ربك.

النفس من وجهة نظر الفلاسفة الإسماعيلية  
إن النفس تأتي في المرتبة الثانية من حيث تركيب الصوادر والخلق الإلهي، فيعتبر

العقل، أول مخلوق في عالم المحدثات وبواسطته تصدر النفس من عالم الأمر الإلهي. «إن الأمر الإلهي عبارة عن إيجاد الكون والكون لم يظهر في الوجود إلا بالعقل والعقل هو أول المخلوقات والعقل بذرة العالمين.» (السجستاني، ١٣٦٧ش: ٢٣-٢٢) و«المخلوق الثاني يتمثل في النفس وقد نزل علي هيئة إنسان.» (نفس المصدر: ٢٧) و«من نوره استفاض الإنسان وبه يدرك التوحيد ولولا ذلك النور لما وصل الإنسان إلى معرفة البارئ سبحانه وحينها لافرق بينه وبين البهائم.» (ناصر خسرو، ١٣٨٤ق: ١٤٥) و«هذا النور يسمي النفس الناطقة وبها يتكلم الإنسان.» (نفس المصدر: ١٤٧) و«النفس في ذاتها تامة لأنها منبعثة من العقل الأول الذي هو كامل وتام.» (أبو حاتم الرازي، ١٣٧٩ش: ٣٠) وبناء علي هذا فإن «النفس أمر غير مكتمل يكون بحاجة إلى فوائده العقل.» (نفس المصدر: ٢٣) و«النفس معلول من العقل والعقل علته.» (كرماني، ١٩٦٠م: ٥٤) ونزل في هذا العالم علي هيئة الإنسان. ذلك لأن النبات والحيوان يفتقدان التوازن المطلوب في عالم الطبيعة و النفس في وجود الإنسان تستطيع أن تقع في الحياة الحسية و التوازن العقلي (السجستاني، ١٣٦٧ش: ٢٧) وبعبارة أخرى، تعتبر النفس منشأ للحياة والإدراك الإنساني. وللنفس مراتب بأنواع مختلفة وإن كانت في درجاتها السفلي لا تختلف كثيرا عن النفس الحيوانية التي لها منشأ الحياة والإدراك المحدود الخاص بها. ويمكن القول إن اختلافها مع الإنسان هو أن الإنسان بإمكانه تجاوز النفس الحيوانية والوصول إلى النفس الإنسانية التي تختص به أساسا.

إن النفس لديها قوة كامنة لكسب الكمال ويتحقق ذلك باتصالها مع المعلم الروحاني، وتتصل النفس الناطقة من جهة، بالعالم المادي ومن جهة أخرى، بالعالم القدسي والإنسان نفسه المسؤول عن دفعها إلى الخير والشر ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٨-٩)

### النفس من وجهة نظر ناصر خسرو

تطرق ناصر خسرو إلى النفس وأنواعها المتمثلة بالمراتب التي تحظي بها في آثاره المنظومة والمنثورة علي حد سواء. وقد أشار بصورة عامة إلى النفس الكلية التي أطلقنا عليها النفس الثانية والنفس الجزئية التي هي أثر من آثار النفس الكلية. ويتخذ للنفس

الجزئية مراتب وأنواعا مختلفة. يعتقد ناصر خسرو أن جميع الموجودات ظهرت علي ساحة الوجود بواسطة كلمة الأمر التي تصدر من البارئ تعالى. كلمة الأمر تخلق العقل وبواسطة العقل تخلق النفس ومن النفس تخلق الطبيعة والعالم الجسماني. «خرد دان اولين موجود زان پس نفس وجسم آنکه نبات و گونه حيوان و آنکه جانور گویا.» (ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ١)

اعتبر العقل أول مخلوق، ثم النفس، ثم الجسم، ثم النبات والحيوان، ثم الحيوان الناطق. زر و سيم و گوهر شد ارکان عالم چو پیوسته شد نفس کلی بر ارکان

(نفس المصدر: ٣٩)

إن أركان العالم أصبحت من الذهب والجواهر بعد اتصال النفس الكلية بتلك الأركان. إن اعتقاد ناصر خسرو في ظهور العالم نابع من رأى أبى يعقوب السجستاني. (السجستاني، ١٣٦٧ش: ٢٩ و ١٧) وهذا الرأى يشبه رأى أفلوطين - فيلسوف الأفلاطونية الحديثة - وقد ظهرت بوادر هذه النظرية وسيرها النزولى والعقول العشرة عند أرسطو أول مرة. وقد استخدمها أبونصر الفارابى فى العالم الإسلامى لأول مرة و تلاه ابن سينا. وفى كلمة واحدة يعتقد ناصر خسرو أن «النفس الكلية جوهر مبدع شريف.» (ناصر خسرو، ١٣٦٣ق: ١٣٣) وهو يطلق علي الجوهر اللطيف الذى ينسجم مع الجسم، النفس الكلية ويقول: «إذا دعاها أحد بغير هذا الاسم، فنحن لا نضايقه علي الاسم.» (نفس المصدر: ١٧٥) يعتقد ناصر خسرو «أن النفس الكلية جوهر بسيط ذو روح وحى بذاته وعليم بالقوة الكامنة وفاعل بالطبع وهى صورة من صور العقل الفعال.» (نفس المصدر: ٨٩) و«فى ترتيب الصوادر، خلقت النفس الكلية بواسطة العقل من كلمة الأمر الإلهى» (ناصر خسرو، ١٩٩٨م: ٥) وكما أن العقل خالقها (النفس) فيعتبر هذا العالم من صانعها. (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ٣٤٥) «والنفس الكلية صانعة العالم الجسماني.» (نفس المصدر: ١٧٨)

### كيفية صنع العالم

إن العالم فى رأى ناصر خسرو عبارة عن منزل، وعمر الإنسان بمثابة ممر يعبر منه الناس ليصلوا عبر هذا المنزل إلى صانع العالم. (نفس المصدر: ٤٦٤) و«لم تنشأ الدنيا لنفسها وإنما خلقت من أجل خلق الإنسان» (نفس المصدر: ٤٦٣) إن «سلسلة الصوادر كانت ضمن

مراتب التكوين. وقد أنشئ العقل الأول بعد أمر "كن" وبعد العقل خلقت النفس. تصنع النفس، العالم من الهيولى والصورة. والهيولى عبارة عن جوهر بسيط تظهر فيه الصورة. «(ناصر خسرو، ١٣٦٣ق: ٨٧) يعتقد ناصر خسرو أن العقل لا يمكنه الإحاطة علي صنع العالم ولكنه يشرح فيما بعد أن النفس صنع هذا العالم الجسماني من الهيولى الأول. وهذه الطريقة فى الصنع هى من عطاء البارى تعالى ليخلق من الهيولى الأفلاك التى هى بمثابة الجسم. (ناصر خسرو، ١٩٩٨م: ١٤) فهذا تكون النفس صانعة وهى صفة مشتركة بين النفس الكلية والخالق ويتابع الحكيم الشاعر داخضا هذا الرأى بقوله «ولكنها أى النفس ليست ذلك الفرد الأحد الصمد لأن الله تعالى هو كذلك لا غير.» (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ١٧٨) ذلك «لأن الله تعالى هو من أوجد هذا الجوهر اللطيف الفاعل وزوّده بالعقل وقدرة التمييز والتفكر والتدبّر وهذا هو الجوهر الفاعل كما أن الجسم جوهر منفعل.» (نفس المصدر: ١٧٥) وفى رأى ناصر خسرو، الخالق فوق الوجود:

تا نشناسى تو خداوند را مدح تو اورا همه يك سره جاست  
تا نبرى ظن كه خدايست آنك بر فلک و بر من و تو پادشاست  
بل فلک و هر چه درو حاصل ست جمله يكى بنده ي او را سزاست

(ناصر خسرو، ١٣٨٧ق: ٤٥)

- \_ ما دمت لم تعرف الخالق سيكون مدحك تجاهه مجرد كلمات.
- \_ وما دمت لاتعتقد بأن الله مالک كل شىء من الناس والأفلاك.
- \_ بل الأفلاك وما فيها ينبغى أن تكون عبدا لذلك المعبود.

### آثار النفس الكلية

إن النفس الكلية مستفاداة من جهة ومفيدة من جهة أخرى وهى تستفيض من العقل العام وتفيد المراتب التى تليها واحدة تلو أخرى وآثارها تظهر إما عامة أو خاصة، فآثار الأولى تشمل جميع العالم وتسع كل ما فيها من النفس النامية والحسية والناطقة والروائح والألوان، ولكن الآثار الخاصة فهى خاصة للأنبياء الذين هم من طلبوا تلك الآثار. (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ١٩٨)

## سمات النفس الكلية

- ١- رغم الشرح الذى تطرق إليه الشاعر إلا أن «النفس الكلية محجوبة عن العيون». (ناصر خسرو، ١٩٩٨م: ١٢)
- «جان و خرد از امر خدايند و نهانند، پيدا نتوان كرد مرا اين جفت نهان را.» (ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ملحق ٤)
- \_ إن النفس والعقل من أمر البارى تعالى وهما مخفيان ولا يمكن أن تجدهما.
- ٢- «والمعروف عن النفس الكلية أنها لطيفة.» (نفس المصدر: ١٣) و«هى من جوهر الملائكة.» (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ١٧٥)
- ٣- «النفس الكلية قائمة بذاتها.» (نفس المصدر: ٤٤٨)
- ٤- «النفس الكلية تستفيض من العقل الكلى.» (نفس المصدر)
- ٥- «النفس الكلية فاعلة.» (نفس المصدر: ١٧٥) والصفة التى تميز النفس عن أى شىء آخر هو طبعها «فالنفس فاعلة بطبعها.» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ١٠٢)
- ٦- «ومن أفعال النفس الكلية صنع هذا العالم، ومن أشرف أفعالها إيجاد البشر.» (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ٤٤٩)

## النفس الجزئية

إن «النفس جوهر مبدع يحظى بقوة لامتناهية. ويطلق علي ذلك الجوهر الخافي في نطفة الحيوانات والبشر وأصل النبات، النفس وهو جوهر مبدع وكل ما هو مبدع لا يكون جزئياً وكل ما هو غير جزئى قوته لامتناهية وكل ما هو خاف في النطفة لامتناه، كل حسب قدرة الأشخاص.» (نفس المصدر: ٦٤)

در عقل واجبست يكى كلى اين نفس هاى خرده اجزارا  
او را به حق بنده ي بارى دان مرجع بدوست جمله مر اين ها را  
او را اگر شناخته اى بى شك دانسته اى ز مولى مولارا

(ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ٧٧)

\_ فى العقل من الواجب أن تكون النفس كلية من بين هذه الأجزاء  
\_ واعتبر تلك النفس عبدا للبارى لأن مرجع جميع هذه النفوس إليه

\_\_ إذا ما عرفتها فلا شك أنك قد ميّزت بين المولى و المولى

من بين المخلوقات، يعتبر الإنسان خلاصة العالم بل ما يعادله وهو الهدف الأساسى من خلقه الكون كله. «الإنسان عصاره الخلقه وخالصتها وما يدعى العالم الصغير.» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ١٠٣) وهذا العالم يتكوّن من جزئين، الجسم والنفس «ومن الخلقه الأخرى صورة نفس الإنسان وجسم الإنسان ينبغى أن يكون فى مرتبة تخرج منه النفس العالمه.» (نفس المصدر: ١١٠) والفرق بين نفس هذين الجزئين، هو أن جسم الإنسان صورة حية ناطقة معرّضة للفناء، أما نفس الإنسان فهى صورة حية عالمه غير معرّضة للفناء. (نفس المصدر) خلق الله جوارح الإنسان وسيلة لرفع احتياجات الجسم وخلق العقل المدرك وسيلة لتكريم النفس، ولكن ناصر خسرو يعتقد بما أن الجسم فانٍ، والنفس والعقل باقيان وبما أن الثواب والعقاب تابعان للنفس، فإنّ الهدف من خلق الإنسان إنشاء النفس والعقل الجزئى وكما أنّ الجواهر وطباع النفس الكلية صنعت العالم، فلا بدّ للإنسان صاحب النفس الجزئية أن يبتكر أشياء لم يتطرق إليها العالم مع كل ما يمتلكه من قدرة وعظمة مثل صناعة الإسّتر من الخيل والبغل وصناعة البريسم من الحجر وورق التوت من دودة القز. «إن نفس الإنسان جزء من النفس الكلية وليس أثرا لها.» (نفس المصدر، ١٢٥)

نفس ما بر آسپا كى پادشا گشتى به عقل گرنه نفس مردمى از كل خویش اجزاستى  
(ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ١٠٦)

\_\_ متى ملكت نفسنا العالم بالعقل، لأن نفس الإنسان جزء من الكل

وقد ظهرت النفس فى العالم بواسطة الأجرام. والنفس الجزئية سبب الطباع فى أجسامنا. (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ١٩١) وإنها لوح الرحمن، وبالنفس تعرف درجات الخلق. (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ١٦٤)

صانع مصنوع را تو باشى فرزند پس چو پدر شو كريم و عادل و فاضل (ناصر

خسرو، ١٣٨٧ش: ٦١)

١. يقول سنائى فى هذا الشأن أيضا:

از درونت نگاشت صنع اله نه زرد و سپید و سرخ و سیاه

وز برونه نگاشته افلاك از چه از باد و آب و آتش و خاک



- \_ أنت ابن صانع كل مصنوع، فكن كالأب كريما وعادلا وفاضلا.  
إن للنفس الجزئية صفاتا وسماتا وهي عبارة عن:
- ١- «أن النفس حية بذاتها لا تموت.» (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ٦٩)
  - ٢- «إن نفس الإنسان مجبولة علي التجسس.» (ناصر خسرو، ١٣٦٣ق: ١٢)
  - ٣- «والنفس في غنى عن الجسم.» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ١٢١)
  - ٤- «الكائن الحى يحتوى علي أجسامنا نحن الأنفس.» (ناصر خسرو، ١٩٩٨ق: ٢٢)
  - ٥- «إن فعل النفس بدون جسد يتمثل بالعلم.» (نفس المصدر: ٢٣)
  - ٦- «بما أن النفس ليست بحاجة إلى مكان فلا يوجد مكان في الجسم خاليا من النفس ولو كان دون نفس لما كان يتمتع بالحياة والتحرك.» (نفس المصدر: ٢٥) و«إن كان يعتقد بأن مكان النفس الجزئية في جسم الإنسان يتمثل بالقلب وتوسطه في الجسم يجعل النفس تنتشر في الأطراف المحيطة به.» (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ٣٨)

### مراتب النفس

اعتبر أرسطو في كتاب النفس أن أجزاء النفس لامتناهية ويذكر أفلاطون ثلاثة أقسام للنفس وهي: ناطقة وإلهية وغضبية وحيوانية ونباتية نامية أو شهوانية. (الرازى، ١٣٧٨ش: ٢٣) وفي علم النفس قسم القدامى الحواس المدركة إلى قسمين الظاهرة والباطنة. والحواس الظاهرة هي البصر والسمع والذائقة واللامسة والشامة. وأما الحواس الباطنة فهي: ١- الحس المشترك أو البنطاسيا الذى يعرف في علم النفس بالإدراك الحسى ٢- القوة الخيالية أو المصورة وهي مخزن الصور الجزئية للحس المشترك ٣- قوة الوهم أو المتوهمة أو الواهمة والوهمية التي تدرك المعانى غير المحسوسة الجزئية وهي كالقوة التي تحكم باستنفار البهيمية (الذئب) ٤- القوة الحافظة وهي مخزن للمعانى الجزئية الوهمية ٥- القوة المتخيلة أو المتصرفة والتي تعرف في علم النفس بالتخييل الإبداعى وله مجالات واسعة وهو موقع للتصورات التي تتخيلها الأذهان البسيطة ما تعتبر مكانا للمضامين الجديدة والاختراعات ونظريات الفلاسفة.

(ابن سينا، ١٣٣٣ش: ٦٤)

يقسم أبو يعقوب السجستاني الأشياء في العالم إلى ثلاثة أشياء: الجماد والنبات

والحيوان، ويعتقد بأن النفس لا تنزل علي القسمين الأولين، «لأن النفس تجرى في الحياة الحسية وفي الاعتدال العقلي وهذا لا يتحقق إلا في الإنسان» (السجستاني، ١٣٦٧ش: ٢٧) ويعتقد أحد علماء الإسماعيلية أيضاً أنه لا يوجد بين المحسوسات و المعقولات في هذا العالم جوهر أرقى وأشرف من جوهر الإنسان وهو ما يسمي بالنفس الناطقة وبها أصبح الإنسان أفضل الكائنات وأفضل من أى جنس آخر في هذا العالم. (أبو حاتم الرازي، ١٣٧٩ش: ٢٣) ويعتبر ناصر خسرو الإنسان أفضل المخلوقات وفقاً للآية الكريمة «ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم.» (ناصر خسرو، ١٣٦٣ق: ١٧٩) كما أنه يعتقد بأن «الإنسان يتشكل من جوهرين: أحدهما لطيف علمي وهو النفس والثاني قذر عملي وهو الجسم ومن يستخدم هذين الجوهرين في طاعة الخالق يكون عادلاً.» (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ٢٢٤) يقول ناصر خسرو إن الإنسان يأتي إلى هذا العالم جاهلاً فاقداً للمعرفة وفي هذا العالم تعتبر أسباب العلم تمهيداً لتلقى العلوم وتنمو قوة التفكير في داخل الإنسان. ويرى ناصر خسرو أن للنفس قوة تأتي في مراتب مختلفة بعد امتلاكنا إيها ومن ثم تعرف بأسماء ملائمة مع خصائصها. ويستخدم الشاعر أحياناً نفساً معينة يخاطبها بأسماء متنوعة وهي:

### النفس النباتية

«إن النفس في هذه القوة الشهوانية تساوى النبات.» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ٩٥) والقوة الشهوانية تتمثل في الصورة الجسدية، لأن الجسد يستطيع من خلال هذه القوة جذب الطعام وتسمي هذه النفس النامية. ويترجمها ناصر خسرو إلى الفارسية ويقول: «النفس النامية أى روينده وافزاينده.» (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ٢٠) و«هذه النفس المتحركة تسير نحو النمو.» (ناصر خسرو، ١٣٦٣ق: ١٣١) ويعبر عنها في ديوانه بـ"نفس رستننى" أى النامية:

من به يميگان در نها نم علم من پيدا چنانك فعل نفس رستننى پيدا است او در بيخ وحب

(ناصر خسرو، ١٣٧٨ق: ٤٤)

١. يعتقد بأن للنفس أربع قوى: النامية، الحسية، الناطقة والعاقلة وإن كان يشير أيضاً إلى النفوس الأخرى الحسية، النباتية والنطقية (ناصر خسرو، ١٣٨٥: ٢٥٢) والمراتب الثلاثة الطاعمة والنامية والناطقية. (ناصر خسرو، ١٩٩٨م: ١٠) ويشترك الحيوان في القوة الشهوانية للنبات وهو النمو ويشترك الإنسان في القوة الشهوانية والغضبية مع الحيوان.

أنا في الخفاء وعلمي ظاهر كما أن النفس النامية بادية في كل جذور وبدور.

### النفس الحسية

يمكن القول «إن هذه النفس عنيفة ومتفائلة» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ١٠) و«الحيوان يمتلك قوتين: الشهوانية وهي متفائلة والغضبية وهي عنيفة وعبوسة ومتجهمّة» (نفس المصدر: ١٠) و«الإنسان يشاطر الحيوان في هذه القوة النفسانية» (نفس المصدر: ٩٥) ومن جملة الأفعال التي تقودها النفس الحسية أو العنيفة، الدفاع عن النفس في محاولة لطرد العدو، الجماع، طلب الطعام والكسوة والاحتياجات الضرورية للإنسان. تحت هذه النفس الإحساس علي طلب اللذات الجسمانية (ناصر خسرو، ١٣٦٣ق: ١٣١) وبعبارة أخرى «إنها تجذب اللذات الحسية» (نفس المصدر: ١٧٤) «أما النفس الشهوانية تأمر بالسوء أى تأمر الناس علي أفعال تخدم الجسم دون أن يرضي لها العقل» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ٧) «امتلات الصفات البهيمية في نفسك من كثرة الطعام والنام، وانشغالك للأموال الشهوانية أصبحت أكثر من أى عمل آخر.» (ناصر خسرو، ١٣٨٧ق: ٢٤٢) نلاحظ في النفس البهيمية أنها لا تميز بين الخير والشر بسبب تعلقها بالعالم الجسماني وحبّ الذات والرغبة للبقاء. ربما تفضل هذه النفس، الشر علي الخير وإن كان ذلك يهدد بقاءها حيث التعدي للآخرين يصبح من عاداتها وفي هذه المرتبة تكون النفس أمارة بالسوء. يعبر ناصر خسرو عن النفس الحسية بالنفس البهيمية ويعتبرها وضیعة وخسيسة وجاهلة. (ناصر خسرو، ١٣٦٣ق: ٢٠٨) ويعبر عن هذه النفس في ديوانه بعفريت النفس البهيمية:

ديويست ستمكاره نفس حسی کو ما یه ی جهلست و بی فساری

(ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ١٤)

إن النفس الحسية عفريت ظالم وهو سبب الجهل والعصيان.

بکش نفس ستوری را به دشنه ی حکمت و طاعت

بکش زین دیو دستت را که بسیار ست دستانش

(نفس المصدر: ١٠٨)

اقتل النفس البهيمية بمديّة الطاعة والحكمة واعتزل عن هذا العفريت، لأن أياديها كثيرة

ومن عادات النفس البهيمية؛ النهي عن العمل بالشرعية، وقبول الدين بالتقليد وهذه من سمات البهائم. لامتياز بين الخير والشر بسبب تعلقها بالعالم الجسماني وحبّ الذات والرغبة للبقاء. ويمكن أن تفضل هذه النفس الشر علي الخير وإن كان ذلك يهدد بقاءها حيث التعدي للآخرين يصبح من عاداتها وفي هذه المرتبة تكون النفس أمارة بالسوء.

### النفس الناطقة

«إن الإنسان إضافة إلى اشتراكه في قوي النفس مع النبات والحيوان إلا أنه يمتلك قوة ناطقة وأخري عاقلة» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ١٠) ويمكن القول إن النفس الناطقة في الإنسان بمثابة ملك بالقوة الكامنة والنفس الشهوانية والنفس الغضبية عفريتان بالقوة الكامنة. ومن وُظفت قوته الناطقة النفس الغضبية والنفس الشهوانية في الطاعة، أصبح ملكا ومن غلبت نفسه الغضبية والشهوانية علي القوة الناطقة تحوّل إلى عفريت (شيطان) بالفعل. ويفسر ناصر خسرو هذا الأمر مستندا إلى قول الرسول الأعظم (ص): لكل إنسان شيطانان يغويانه؛ ويستنتج وفق هذا الحديث النبوي الشريف «أن للإنسان نفسا ناطقة ونفسين إحداها شهوانية وأخري غاضبة عبوسة.» (ناصر خسرو، ١٣٦٣ق: ١١٤) عندما يسيطر الإنسان علي أعماله ويسوق أفكاره في طريق الخير، تتحقق النفس الناطقة في وجوده ومن ثم يبلغ مدارج الكمال:

هر كه جان بدكش را سیرت نیکی دهد زشت را نیكو كند بل دیو را حورا كند  
(ناصر خسرو، ١٣٨٧ق: ١٨٤)

\_ من سير نفسه الشهوانية في طريق الخير لحسن القبيح وحوّل العفريت إلى ملاك. كما أن ناصر خسرو يعبر عن «النفس الناطقة بالنفس المتحدثة التي تسعى للبحث عن العلم، فجميع الناس لديهم نفس ناطقة تبحث عن العلم ومن خصائصها تلقي العلوم. إن وجود قوة مفكرة في هذه النفس يؤدي إلى التفاؤل وحبّ المعرفة عن أسباب الخلقة ومصير الإنسان بعد الموت.» (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ٢٢٢) و«قد اختصت النفس الباحثة عن العلم والمعرفة للإنسان حتى يسأل ويتوصل إلى حقيقة تتمثل في عدم بطلان العالم برمته.» (ناصر خسرو، ١٣٦٣ق: ١١)

خرد دوست جان سخنگوی توست که از نیک شاد است و از بد دژم  
(ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ٣٠)  
\_ إن العقل صديق نفسك الناطقة وهي تشعر بالراحة لكل عمل جميل يصدر من  
صاحبها وتشعر بالحزن لكل عمل قبيح.

إن النفس الناطقة تظهر وتلقي العلم وتصبح عالمة وتعلم غيرها. (ناصر خسرو،  
١٣٥٩ق: ١٠٥) كما أن ناصر خسرو يعتقد بأن الدماغ هو مكان النفس الناطقة. (ناصر  
خسرو، ١٣٦٣ق: ٢٨٤)

علم كان بود و منش زرّ و کنون زرّ سخن را به نفس ناطقه کام  
(ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ٩٧)  
\_ إن العلم كالمعدن والعمل كالذهب والآن أجعل الكلام الذي هو كالذهب في  
النفس الناطقة

بهتر ز بار حکمت بر شاخ نفس بر نیست خوشتر ز قول دانا زی عاقلان شکر نیست  
(نفس المصدر: ٧٠)  
\_ لا يوجد ثم أفضل من ثم الحكمة للنفس ولا توجد كلمة أحسن للعقلاء غير كلمة  
الشكر.

«إن وجود النفس الناطقة المختصة بالإنسان تمنح له التفوق علي سائر الكائنات  
ولهذا السبب أصبح أهلاً للخطاب الإلهي» (نفس المصدر، ١٢) و«تتمتع الإنسان بالنفس  
الناطقية. وبحته عن سبب النشأة والخلقة وكيفية خلقه كلّها أمور تؤدي إلى سيطرة  
الإنسان علي الكائنات الأرضية.» (نفس المصدر)  
پادشاهی یافتستی بر نبات و بر ستور هر چه گویی "آن کنید" آن از بُن دندان کنند  
(ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ٦٨)

\_ أصبحت ملكاً على النبات و البهائم، كلما تأمرها، تطيع أمرک إطاعة

### الوجوه المشتركة والتمايزة لمراتب النفس

«قد نشأت النفس النباتية والنفس الحسية من تأثير الأجرام الفلكية، ولكن  
النفس الناطقة جوهر إلهي وإبداعي ما يجعلها تستحق التخلق بالصفات الإلهية والبقاء

الأبدى». (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ٢٩٨-٢٩٧) و«أما النفس الناطقة والأخري الحسية كلاهما يبحثان عن الحياة مع هذا الفرق، أن الناطقة تبحث عن حياة خالدة والنفس الحسية تبحث عن حياة فانية في هذا العالم. والنفس الناطقة لا تطلب زيادة في تمديد الحياة في حين أن النفس النباتية والنفس الحسية تسعيان إلى البقاء في هذا العالم.» (ناصر خسرو، ١٣٦٣ق: ٢٨٤)

«يعود علو النفس الناطقة وتفضلها علي سائر النفوس إلى تمتعها بالعلم ولهذا يطلق عليها ناصر خسرو النفس المتعلمة.» (نفس المصدر: ٢٠٨) ذلك «لأن تحرك الإنسان وتفاعله إنما يتحقق بطلب العلم ومعرفة الموجودات.» (نفس المصدر: ١٣١)  
 در نفس من اين علم عطايى است الهى معروف چورواست نه مجهول و نه منكر  
 (ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ٥٩)

\_ هذا العلم فى نفسى، عطاء ربى وهو معروف وظاهر كالشمس فى النهار وليس بمنكر ولا مجهول

«إن النفس النامية والحيوانية (النباتية والحسية) أدنى من النفس الناطقة من حيث المرتبة وإنما خلقنا من أجلهما. ومن وظائف النفس النباتية أنها تغذى الجسم والنفس الغضبية تساعد النفس الناطقة في قمع النفس الشهوانية وبما أن هاتين النفسين يفتقدان لجوهر معين فإنهما معرضان للفناء بعد فناء الجسم ولكن النفس الناطقة تبقى إلى الأبد.» (الرازى، ١٣٧٨ش: ٢٣)

قليلا ما يلجأ ناصر خسرو في كتابه المنتور الذى يحظى بقبلة خاصة من القراء، إلى التحسينات اللغوية والبديعية، علي سبيل المثال كان يلجأ إلى التشبيه في تبين التعاليم الخاصة به ويستخدم الشجرة كمشبه به في أشعاره وآثاره المنتورة. وهو يشبه الإنسان بشجرة روحانية والنفس الحسية بغصونها وأوراقها والنفس الناطقة بثمرها (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ٨٥) ويشبه النفس الحسية التي تسعى للوصول إلى الآمال المحسوسة بغول وعملاق مخادع:

يكى غول فريبنده ست نفس آرزو خواهت ... (ناصر خسرو، ١٣٨٧ش: ١٠٨)

\_ إن نفسك المتفائلة تبدو كغول مخادع ...

وإذا ما سعي الإنسان وراء هذه النفس واختار الجهل والبهيمية وفضّله علي العلم،

لغلبت النفس الحسية علي النفس الناطقة. وفي هذه الحالة تصبح شجرة الإنسان خالية من الثمار وتستحق الحرق.

اگر توز آموختن سر بتابی   نجوید سر تو همی سروری را  
بسوزند چوب درختان بی بر   سزا خود همین است مر بی بری را  
\_ لن تبلغ العلا إذا استنكفت عن التعلم وطلبه

\_ يحرّقون الأشجار الذي لا تثمر ومثل هذه الأشجار تستحق الحرق

يشير ناصر خسرو إلى تعبير أبي يعقوب السجستاني العالم الإسماعيلي في القرن الرابع الهجري فيما يخص اعتقاد السفهاء في القضاء والقدر ويعبر عن القضاء بالعلم والقدر بالنفس وبعد أن تغلب علي النفس الحسية بمساعدة النفس الناطقة، شبه نفسه بمن قاسوا أنفسهم بالنفس واقتنعوا بالورق والقش كالبهائم.

\_ والآن بعد أن سيطرت علي عقلي ونفسي الناطقة كيف أخطر من نفسي

\_ يا من أصبح قلبك مسرورا من القضاء والقدر لا تطلق علي اسم البهيمة

\_ قول الرسول أن الإنسان كشجرة مثمرة أنت أوراقها وأنا ثمرها (نفس المصدر،

١٣٨٧ش: ٦)

### النفس المميزة والمفكرة

وإن كان ناصر خسرو يعتقد بثلاث مراتب وأحيانا أربع مراتب للنفس ولكنه يشير أيضا إلى النفس المميزة وهي تفضل بين الخير والشر (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ٦٨) والنفس المميزة هي من تبقى النفس الناطقة علي دين نبينا محمد صلي الله عليه وآله وتقوم بتأويل المتشابهات، وهو يعبر عن هذه النفس بالقوة المميزة (نفس المصدر، ٣٠٢) ويذكرها في ديوانه بالنفس المفكرة:

ز اندیشه غمی گشت مرا جان به تفکر   ترسندہ شد ای نفس مفکر ز مفکر

\_ أصابني الهم من كثرة التفكير والنفس المفكرة أصابها الرعب من التفكير من

المفكر نفسه.

\_ بحث عن طريق مختار العالم والقائد من الشافعي والمالكي وفي كلام الحنيفي

\_ سألت عن حقيقة الدين من العربي والفارسي والهندي والتركي والسندی والرومي

## والعبرى

\_ وطلبت غايقتى من خلال التفحص فى الفلسفة والمانوية والصائبية والدهرية (ناصر خسرو، ١٣٨٧ ق: ٢٤٢)

عندما يبيحث ناصر خسرو عن الحقيقة نراه يغوص فى غور تعاليم الفرق المختلفة ويقارن بين الصواب والخطأ ويسأل عن الأطياف المختلفة ويتأمل فى أفكارهم دون هوادة، ثم يختار طريقه الخاص المتمثل فى الشيعة الإسماعيلية ويسمى نفسه النفس المفكرة وهى تمتاز بسمات النفس المميزة.

## النفس العاقلة

تعدّ النفس العاقلة أعلى مرتبة من مراتب النفس المختلفة. وإن كانت النفس الناطقة أعلى مرتبة من النفس الحسية والنفس النامية وتجعل الإنسان متميزاً عن سائر الموجودات ومسيطر عليها، إلا أنها مازالت تأتى دون مرتبة النفس العاقلة، ذلك لأن النفس الناطقة لا تكون عاقلة إلا بعد تلقيها العلم وإلا فبقيت فى مرتبة القوة الكامنة ومن الممكن أن تكون فى يوم من الأيام عاقلة (ناصر خسرو، ١٣٥٩ ق: ٤٢) والنفس العاقلة هى ما يمكن قبول علمها ودينها وتوحيدها (نفس المصدر) وهذه النفس هى المحافظة عن سائر الأنفس. كما يشير ناصر خسرو فى ديوانه إلى أن نفسه الناطقة بدأت تبحث عن العلم بعد سن الثانية والأربعين. وهو يبيّن مراحل تطور النفس على النحو التالى:

\_ مرت ٣٩٤ سنة من الهجرة ووضعتنى أمى فى موقع أغبر

\_ والنفس الفاقدة للعلم كالنبات الذى ينشأ عن تراب أسود وماء مقطر

\_ ومن مرتبة النبات وصلت إلى مرتبة الحيوان وتوقفت فى هذه المرتبة لفترة حتى

قفزت كالطير

\_ وفى المرحلة الرابعة ظهرت ملامح الإنسان فى وجودى كالنفس الناطقة وسجنت

فى هذا الجسم المكدر

١. يقول مولانا جلال الدين البلخى بهذا الخصوص: مت من مرحلة الجماد وأصبحت فى مرتبة النفس النامية ومت من هذه المرحلة وتحولت إلى مرتبة الحيوان وبعد هذه المرتبة أصبحت إنساناً فلا داعى للخوف من الموت.



\_ وبعد مرور ٤٢ عاما بدأت نفسى الناطقة تبحث عن العلم

### مكانة النفس العاقلة

يعتبر ناصر خسرو في تفسير الآية الكريمة الرابعة من سورة الهمزة ﴿كَلَّا لِيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَيَّ الْأَفْتَدَةَ﴾، والآية الكريمة ١٩٣ من سورة الشعراء ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَيَّ قَلْبِكَ﴾، «يعبر عن القلب بالأفتدة ويعتبرها النفس العاقلة والقلب هو الفؤاد وليس المقصود منه شكله الظاهري ولكنه النفس العاقلة التي تتصل بالقلب.» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ٢٦)

### النفس القدسية

يقسم ناصر خسرو الموجودات كلا وفق النفوس الخاصة بها، فالنباتات أعلي مرتبة من الطبائع بسبب امتلاكها النفس النامية، والحيوانات أعلي مرتبة من النباتات بسبب تميزها بالنفس الحسية والإنسان بامتلاكه النفس الناطقة يكون أعلي مرتبة من الجماد والنبات والحيوان ومتفوق عليها ومن بين الناس، يفوق شخص علي الجميع وهو النبي الأكرم (ص)، ويفسر ناصر خسرو هذا الأمر علي الطريقتين التاليتين:

الف- يعبر عن جميع الناس بالنفس الحسية والنبي بالنفس الناطقة (نفس المصدر: ٨٧-٨٦) ولهذا علي النفس الحسية امثال أوامر النفس الناطقة.

ب- ويعتقد أن للأنبياء نفسا قدسية وإذا ما اتصلت هذه النفس بالشخص لأصبح ذلك الشخص نبيا وفي تصنيف الناس من جهة وترجيح الأنبياء علي سائر البشر من جهة أخرى يستند إلى الآية ٣٢ من سورة الزخرف ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ عَلَي بَعْض دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًا﴾ كما أنه يعتقد بأن «صلة النفس القدسية بالنبي، تجعل من الممكن قبول كلام الروحانيين دون صوت وحرف وكلمة ومن ثم يمزج بين الحروف والأصوات ويبلغها للأنام.» (نفس المصدر، ١٣٥٩ق: ٢٢٤). في هذا الإطار يقوم الشاعر بمقارنة النفس القدسية التي تختص بالنبي مع النفس الناطقة التي تختص بالإنسان ويعتقد أن «النفس القدسية الخاصة بالنبي توازي النفس الناطقة الخاصة بالناس وكما أن أصحاب النفس الناطقة يستولون علي أصحاب النفس الحسية فإن

أصحاب النفس القدسية أيضا لديهم قدرة الاستيلاء علي أصحاب النفس الناطقة.» (نفس المصدر: ٢٢٣) ويقارن الشاعر العالم الديني بأنواع الأنفس ويستدل بأن الجسد يبدأ بالنفس النامية والعالم الديني يبدأ بالنفس الناطقة وكما أن كمال الإنسان يتحقق في النفس الناطقة، فإن الإمام أيضا وهو آخر المؤيدين يخرج الناس من ظلمات الفناء إلى نور البقاء، والنفس الشهوانية تجعل الإنسان حريصا علي البحث عن الطعام والشراب بغية بقائه كما أن الإمام أيضا يجعل الناس حريصين علي تأويل الحق. (نفس المصدر: ١٧٥)

### عودة النفس وروح التناسخ

يعتقد ناصر خسرو «أن النفوس الجزئية تكون متساوية في بداية اتصالها بالأجساد وبعد تلقيها العلوم تصبح متفاوتة.» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ١٣٦) «تأتي النفس الجزئية جاهلة في هذا العالم دون أي جوارح وبعد امتلاكها الجوارح كالعين والأذن والقلب واللسان، تكسب العلم» (ناصر خسرو، ١٩٩٨م: ٦٢) ويستند إلى الآية الكريمة ٩٤ من سورة الأنعام: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادِيَ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ ويستنتج بأن «النفس المجردة من العلم، لا يمكن الإتيان بها إلى العالم.» (نفس المصدر، ١٣٥٩ق: ٨٤)

\_ يا من أتيت إلى هنا إياك أن تذهبي كما أتيت دون غذاء وماء وكساء (نفس المصدر، ١٣٨٧ش: ٢٣٢)

ومن هنا يصنف ناصر خسرو «النفوس إلى صنفين الجاهلة والعالمة ويرى أن النفس الجزئية تأمل في الوصول إلى العقل الكلي بسبب وجود النفس الكلية.» (نفس المصدر، ١٣٥٩ق: ١٢٦) «وفي حال خروجها من عالم الجهل، لاتدخل عالم الآخرة وتحترق في النار الأثرية وتستمر في العذاب الأبدى.» (نفس المصدر، ١٩٩٨م: ٦٣) و«تعود النفس العاملة إلى أصلها» (نفس المصدر، ١٢٣) و«النفس الجزئية تأمل نعيما من الجنة أعدت لها في ذلك العالم.» (نفس المصدر: ١٩٧) و«النفس العاملة تدخل عالما لطيفا بعد مفارقتها الجسد وتغرق في لذة العز والشرف الروحاني.» (نفس المصدر: ١٠٧) ويستند

إلى الآية الثانية من سورة الحشر: ﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾ ويقول إن النفس العاملة إذا ما اقترنت مع العقل، بحكم القياس يتبين أن مثل هذه النفس تكون أكثر وزنا من النفس المجردة من العلم وخفة هذه النفس ظاهرة للعيان ويمكن القول إنه وفقا للآية ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (القارعة: ٦-٧) «فإن النفس المتحلية بالعقل تكون مطمئنة وهادئة والنفس المجردة من العقل، فهي محرومة من الاستقرار والثبات.» (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ٨٣)

يشير ناصر خسرو إلى فرقة تعتقد بأن تأويل الآيات المتشابهة لا يعلمها إلا الله تعالى. وأصحاب هذه الفرقة يعتقدون بالتناسخ ويستندون في ادعائهم هذا إلى آية يعد الله فيها بإحياء الموتى بالأجساد وإبقاء الأجساد في النعيم وهو ثواب الجنة أو في نار جهنم. (ناصر خسرو، ١٣٥٨ق: ٤٢١-٤٢٠) ويعتقد هؤلاء أن الثواب والعقاب تتحققان للنفس في هذه الدنيا، والشخص السىء يصبح فقيرا ومريضا ويعود إلى العالم والشخص الصالح يصبح غنيا ويتمتع بالصحة ويدخل الجنة.

يبدو أن «بعض الإسماعيليين في الشام الذين كانوا يجالسون الغلاة والنصيرية، كانوا يعتقدون بالتناسخ أيضا.» (ناصر خسرو، ١٣٨٤ق: ١٧٥) ومن بين الإسماعيليين فإن أبا يعقوب السجستاني كما يقول ناصر خسرو «عندما ارتفعت عنده حالة السوداء (الماليخوليائي) تحدّث عن التناسخ وقد دعا في كتبه مثل سوس البقاء وكشف المحجوب والرسالة الباهرة، إلى هذه الفكرة ولكن الحاكم الخليفة الفاطمي رافض رأيه قائلا إنه مصاب بالسوداء.» (ناصر خسرو، ١٣٥٨ق: ٤٢١-٤٢٢) وصف ناصر خسرو هذه العقيدة بالخاطئة وقد لجأ إلى دلائل متعددة لرفضها جملة وتفصيلا ويقول: «ليس جميع الأثرياء يتمتعون بالصحة الجسدية والنفسية وليس جميع الزهاد والفقراء مرضي.» (نفس المصدر: ٤٢٨) كما يعتقد أن الجسد والنفس يرتكبان الأعمال السيئة والصالحة بالتعاون معا، لهذا تري أحدهما يجزي والآخر يهمل. (نفس المصدر: ٤٢٤) ويشير إلى خواجه الشهيد بو الحسن بخشى صاحب كتاب المحصول الذي كان تناسخيا. ولكن ابنه دهقان الذي امتلك جزيرة خزلان بعد أبي يعقوب لم يكن معتقدا بالتناسخ وقد طعن في رأى أبي يعقوب في التناسخ. (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ١١٢-١١١)

يبدو أن ناصر خسرو لم يطلع علي كتاب كشف المحجوب للسجستاني لأن الأخير يقول في كتابه «بعد مفارقة النفس للجسد اعتقد بعض السفهاء بأن الأرواح تتقمص في الأشخاص، فيتحول نوع إلى نوع آخر وهم تلك الفرقة القائلة بالتناسخ وتعتقد بأن روح الإنسان تتقمص في روح الكلب والحمار، وروح الكلب والحمار تنتقل إلى جسم الإنسان وما يقولونه حول الهذيان أسوأ من أي شيء آخر لأنه افتراء عظيم.» (السجستاني، ١٣٦٧ش: ٦٠)

ويقول عند إشارته إلى رأي أفلاطون حول التناسخ: إنه طرح فكرة التناسخ لكي يتبعد الناس عن ارتكاب المعاصي وتخف فيهم الرغبة في اللذات الجسمانية التي تستوجب العقاب والعذاب. (ناصر خسرو، ١٣٨٥ق: ٤٢٣) وينقل من الفرفورس الذي يتحدث عن اعتقاد اليونانيين بالتناسخ في كتاب طبيعة الإنسان وهو أن للنفس أنواعا متعددة تنتقل إلى جسد الإنسان، ونفس الحيوان تنتقل إلى جسد الحيوان أي أن الروح تنفخ في جسم يستحق تلك الروح ويقول أفلاطون إن روح الأشرار تتحول إلى عفاريت والعفريت هو النفس السيئة التي تفارق الجسد. (ناصر خسرو، ١٣٥٩ق: ١١٦-١١٧)

### النتيجة

يعتقد ناصر خسرو أن النفس الكلية منبثقة من العقل الكلي وتمتع بقوة لامتناهية وهي صانعة العالم وأداة الهيولى والصورة، وقد وضعت من جوهر النفس الكلية في النباتات والحيوانات وهذا الأمر أدي إلى تحقق الوجود فيهما، ويتم بقاء الإنسان من خلال القوي النفسية النباتية والحسية والناطقة وفي حال غلبة النفس الناطقة علي سائر القوي يقوم الإنسان بالبحث عن العلم والحكمة ويصبح ملكا بالقوة الكامنة والنفس المميزة تميز بين الخير والشر ويكون بإمكانها تأويل المتشابهات والنفس العاقلة تقبل التوحيد. وإذا كانت النفس الناطقة من خصائص الإنسان وما يميّزها عن سائر الموجودات، فإن النفس القدسية تميّز صاحبها أي النبي عن سائر البشر وهي تمتاز بقدرة الاحتفاظ بالآخريين.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن سينا. (١٣٣٣ش). علم النفس. به اهتمام على أكبر سياسى. مطبعة الجامعة.  
باخرزى، أبو المفاخر يحيى. (١٣٥٤ش). أورد الأحاب وفصوص الآداب. تحقيق إيراج أفشار.  
طهران.

خواجه نصير الدين الطوسى، أبو جعفر محمد بن حسن. (١٣٥٦ش). أخلاق ناصرى. تصحيح  
مجتبى مینوى وعلی رضا حیدرى. طهران: انتشارات خوارزمی.

الرازى، أبو حاتم. (١٣٧٩ش). الإصلاح. منوچهر ومهدى محقق. طهران: مؤسسة مك كيل.  
الرازى، محمد بن زكريا. (١٣٧٨ش). الدراسة التحليلية لكتاب الطب الروحاني. به اهتمام مهدى  
محقق. طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامى.

زرين كوب، عبدالحسين. (١٣٦٨ش). سرنى. ط ٣. طهران: انتشارات علمى.  
السجستاني، أبو يعقوب. (١٣٦٧ش). كشف المحجوب. هانرى كرين، طهران: انتشارات طهورى.  
سنائى، أبو المجد بن آدم. (١٣٧٤ش). حديقة الحديقة وشريعة الطريقة. تصحيح مدرس رضوى.  
ط ٤. طهران: انتشارات جامعة.

سهروردى، شهاب الدين يحيى (ششيخ الإشراف). (١٣٧٢ش). مجموعة المصنفات. ج ٢ (بستان  
القلوب)، تصحيح ومقدمة سيد حسن نصر. ط ١٠. طهران: مؤسسة الأبحاث.  
عطار نيشابورى، فريد الدين. (١٣٧١ش). ديوان الأشعار. تصحيح تقى تفضلى. ط ٦. طهران:  
انتشارات علمى وفرهنگى.

عطار نيشابورى، فريد الدين. (١٣٧٤ش). منطق الطير. تصحيح سيد صادق گوهرين. طهران:  
انتشارات علمى وفرهنگى.

الكاشانى، عزالدين محمود. (١٣٨٨ش). مصباح الهداية ومفتاح الكفاية. تصحيح جلال الدين  
همائى. ط ١٠. طهران: مؤسسة الطبع والنشر.

كرمانى قاضى، حميد الدين. (١٩٦٠م). الرياض. تحقيق عارف تامر. بيروت: دار الثقافة.  
مولانا جلال الدين محمد البلخى. (١٣٦٥ش). مثنوى معنوى، الدفتر الثالث والرابع، به اهتمام  
رينولد الين نيكلسون. ط ٤. طهران: انتشارات مولى.

ناصر خسرو قباديانى، حكيم أبو معين. (١٣٦٣ق). جمع الحكمتين. به اهتمام الدكتور معين وهانرى  
كرين. ط ٢. طهران: انتشارات طهورى.

\_\_\_\_\_ (١٣٥٩ق). خوان الإخوان. مقدمة وتصحيح يحيى الحشباب. القاهرة: مطبعة  
المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية.

\_\_\_\_\_ (١٣٨٧ش). ديوان أشعار، تصحيح مجتبى مینوى ومهدى محقق. ط ٧. طهران:

انتشارات دانشگاه طهران.

\_\_\_\_\_ (١٣٨٥ق). زاد المسافرین. تصحیح محمد بذل الرحمن. ط ٢. طهران: انتشارات  
أساطیر.

\_\_\_\_\_ (١٩٩٨ق). گشایش و رهایش. ترجمه محمد هونزائی، لندن.

\_\_\_\_\_ (١٣٨٤ق). وجه الدین. ط ٢. طهران: انتشارات أساطیر.

نجم الرازی، نجم الدین ابو بکر عبدالله بن محمد بن شاه اوربن انوشروان. (١٣٨٧ش). ط ١٣.  
طهران: انتشارات علمی فرهنگي.

نراقی، ملا أحمد. (١٣٧٨ش). معراج السعادة. طهران: انتشارات پیام آزادی.



پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی  
پرتال جامع علوم انسانی